أثر الهجرة في تنمية العلاقة بين الحبشة والمسلمين في الجزيرة العربية

المرحلة الأولى: من البعثة النبوية إلى عودة آخر فوج من المهاجرين إلى الجزيرة:

إن تطور العلاقة بين المسلمين في الجزيرة وبين الحبشة قد خضع لظروف معينة كانت فاعلة ومؤثرة في مدها وجزرها، فالظروف الأولى التي هيأت نمو العلاقات وتطورها بين الجانبين ليست خافية.

كانت العلاقة بينهما قبل الإسلام عن طريق التجارة بين أغنياء مكة والحبشة وكانت التجارة رائجة عبر البحر الأحمر.

كما تكونت العلاقة عبر الحروب وأشهرها الغزو الحبشي ضد اليمن ومحاولة أبرهة غزو مكة واحتلالها.

ولكن العلاقة قد تغيرت بعد الإسلام، ودخلت في مركباتها عناصر جديدة أحدثت تبدلاً وتغيراً جذرياً.

فالإسلام كحدث متميز ذي أهمية خاصة وإعلان ميلاده في أقدس بقعة في العالم، وما أحدثه ذلك الدين الجديد من انقسام واضح في مكة المكرمة وبين أهلها، وتباين في الآراء والمواقف من الإسلام ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام.

كانت المواقف متباعدة والآراء مختلفة، فكان من أهل مكة من آمن بالله وبرسوله وما جاء به من عند الله مدوياً بصوت الشهادة في جنبات مكة وفي شعابها ووديانها وجبالها مردداً كلمة التوحيد: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد

أن محمداً رسول الله» متحدياً بذلك قوى الشرك والمشركين وما توارثته الأجيال المتعاقبة من باطل يرفضه العقل ويأباه الشرع.

ومنهم من أنكر رسالة الإسلام وكفر بالذي جاء به رسول الله ﷺ من عند ربه وأعلن عداوته للإسلام منذ الأيام الأولى يصد عن سبيل الله وينصب الحرب لأهل الإيمان مستخدماً كل الوسائل الممكن حصولها، بل فقد هذا الفريق عقله وتوازنه كأنه أصابه مس من الشيطان مردداً كما حكى لنا القرآن الكريم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾[1].

لا يعمل فكره لمعرفة الحقيقة مهما تكن الظروف، ولا يقبل الحجة والمنطق مهما لاحت له معقوليتها أو صحتها، إنه ماض في سبيله رغم كل شيء يجمع السلاح بأنواعه ليهدم به الإسلام، ويؤلف الأقوام والأحلاف لحسم المعركة بين الدين الجديد وبين معتقداتهم لصالح عقائدهم الباطلة ومحو آثار الإسلام، مدافعين عن الأصنام والأوثان بكل غال ورخيص مرددين ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[2].

إن تلكم المواقف أدت إلى حدوث مواجهات وعنف وحرب حقيقية أنشبها وأشعل نيرانها جمهور المشركين بقبائلهم وفئاتهم ضد الفئة المؤمنة القليلة العدد في مكة المكرمة والتي لا تمتلك من وسائل القوة المادية ما يمكنها من خوض معركة ضد المشركين في مكة، بالإضافة إلى ذلك أن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بكف الأيدي وعدم القتال لحكمة يعلمها الله سبحانه وتعالى، إذ يقول المولى عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[3].

كان من نتائج ذلك أن هاجر عدد من أصحاب رسول الله ﷺ إلى الحبشة، وتلك أول لبنة وضعت لبناء علاقة بين المسلمين في الجزيرة وبين

---

(١) سورة فصلت: الآية ٢٦.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٢٣.

(٣) سورة النساء: الآية ٧٧.

الحبشة وكانت نقطة تحول خطيرة تغيرت معها أمور كثيرة. كانت الهجرة كما رأينا في السنة الخامسة للبعثة النبوية الشريفة، مما يدل على أن الصراع احتدم بين الطرفين في وقت مبكر من عمر الدعوة، لقد تطورت العلاقة منذ تلك السنة، أي قبل ثماني سنوات من الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة، وزادت رسوخاً وعمقاً بعد هذه الهجرة المباركة، وأنتجت ثماراً يانعة آتت أكلها بعد حين، وعندما أعلن النجاشي إسلامه صراحة جهاراً نهاراً ازدهرت العلاقة أكثر فأكثر وزادت جمالاً وتألقاً، ونتج عن هذا أنه دافع عن المسلمين في أرضه ووفر لهم حياة هانئة سعيدة يظللها العدل وتحميها القوة ويزينها حسن الضيافة والكرم.

وهذا الحدث غير علاقة الحبشة بالجزيرة العربية رأساً على عقب لأن المهاجرين كسبوا ود النجاشي وثقته حتى دخل في الإسلام، ووقف بجانب القضايا الإسلامية ضد أطماع المشركين من أهل مكة.

إن اعتناق النجاشي الإسلام ووقوفه بجانب العدل المطلق ورفضه الانصياع وراء رغبات المشركين لرد المؤمنين إلى مكة قسراً ورد هدايا المشركين بعد أن تبين للنجاشي أنها رشوة قصد منها الإيذاء والإضرار، كل ذلك كانت ضربة سياسية في الصميم، أصابت مقتل المشركين، ومرغ كرامتهم وشرفهم في التراب، فمن جراء ذلك خسروا تلك العلاقة الممتازة التي كانت تربطهم ببلاد الحبشة وملكها، ورجع وفد المشركين إلى مكة بخيبة أمل كبيرة، ومن يومها تغيرت الموازين والمقاييس وتبدلت أساليب التعامل بين الطرفين وأحسوا مرارة الهزيمة وانتصار المسلمين في الحبشة بسبب إسلام النجاشي، فأصبحت الكفة راجحة للمؤمنين حتى استماتت النجاشي في الدفاع عن المؤمنين، فلقد دافع عنهم من اعتداء المشركين، ودافع عنهم من كل إيذاء أياً كان مصدره وحذر الأحباش من مغبة إيذائهم المهاجرين، وسبب ذلك للنجاشي إحراجاً كبيراً أمام أهل الحبشة أكثر من مرة، وفي بعض المرات كاد يخوض حرباً ضروساً لأجل عقيدته وإسلامه ومبادئه الإنسانية.

ولقد توجت العلاقة بين الحبشة والدولة الإسلامية بتبادل الرسائل والرسل بين نبي الله ﷺ وبين النجاشي، فقد ثبت أن النبي ﷺ أرسل كتاباً

إلى النجاشي رحمه الله تعالى مع عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه عام سبع من الهجرة النبوية الشريفة ضمن فيه قضايا أساسية تناولت جوانب عدة:

أولاً: عرض الإسلام على النجاشي والدعوة إليه كما سبقت الإشارة إليه.

ثانياً: إسناد مهمة زواج أم حبيبة رضي الله عنها وفعلاً تولى تنفيذ ذلك الأمر بكل شرف واعتزاز.

ثالثاً: طلب النبي ﷺ بعث وتجهيز من عنده من الصحابة حتى يتمكنوا من العودة والهجرة إلى المدينة المنورة، وتلك قضايا في غاية الأهمية تكشف لنا مستوى العلاقة المتميزة، والثقة الكبيرة التي أظهرها الرسول ﷺ تجاه ملك الحبشة يومئذ، ومما لا شك فيه أن جملة القضايا التي تضمنها الكتاب تدل على المستوى الراقي الذي بلغت العلاقة بين الجانبين.

إن طلب الرسول ﷺ من النجاشي أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما عظيم شأنه لأن مثل هذا لا يكون عادة إلا بين من ارتبطوا بعلاقات خاصة مثل الأخوة والأصدقاء، وهذا الأمر غاية في التكريم والتشريف، لأن النجاشي اشترك في هذا العمل ببناء بيت من بيوت النبوة، ولا أشك أن النجاشي فهم الأمر على وجهه وقدر المسئولية حق قدرها، وقام بالأمر خير قيام حتى أنه بالغ وبذل جهداً مشكوراً وأبدى سروره وفرحه بالمسئولية تلك، والحفلة التي أقامها بمناسبة الزواج أظهرت جانباً من شخصية النجاشي وكرمه وحبه للرسول ﷺ وإعجابه بالصحابة لقد دفع مهر أم حبيبة من ماله وسكب الدنانير في المجلس كما أنه زودها زاداً كثيراً مما تحتاج إليه المرأة في بيتها وعزم على خادمتها ألا تأخذ منها شيئاً.

أما تجهيز الصحابة رضي الله عنهم، فقد قام بهذه المهمة خير قيام حيث أعد سفينتين تنقلان المهاجرين من الحبشة إلى الشاطىء الشرقي للبحر الأحمر.

لم ينس النجاشي رد كتاب رسول الله ﷺ: بل كتب كتاباً إلى النبي ﷺ

يشبه تقريراً مفصلاً عما فعل وكيف تصرف مع الصحابة وكيف أنه دخل الإسلام واختاره ديناً من سائر الأديان ولم يكتف بذلك، بل أرسل وفداً إلى النبي ﷺ مع أهل السفينتين. ليقدم بدوره تقريراً شفهياً وينقل أخبار النجاشي إلى المدينة المنورة. وهذا ما حدث بالفعل، إن الوفد الذي رافق جعفراً وأصحابه إلى المدينة أخبر النبي ﷺ بما فعل النجاشي مع أصحابه، وبدوره أكرم ﷺ هذا الوفد أيما إكرام حتى عجب من ذلك الصحابة، وحينما قام بخدمة الوفد بنفسه وقال الصحابة: نحن نكفيك، كان جوابه تعبيراً صادقاً عما يكن للنجاشي وأتباعه في الحبشة من حب وتقدير فقال عليه السلام للصحابة: «إنهم كانوا لأصحابه مكرمين، وإني أحب أن أكافأهم»[1].

وخلاصة القول إن المرحلة الممتدة من عام خمس للبعثة النبوية وحتى عام سبع للهجرة النبوية وهي تربو خمس عشرة سنة شهدت تطورات إيجابية واتصالات مكثفة شملت الهجرات من وإلى الجزيرة العربية والوفود الرسمية بين الحبشة والدولة الإسلامية في المدينة، إن تلك الاتصالات أوصلت العلاقة بين الطرفين إلى القمة عام سبع من الهجرة وهي نهاية مرحلة من المراحل بدأت بهجرة الصحابة إلى الحبشة وانتهت بعودة آخر مجموعة ووصولها إلى المدينة المنورة عام فتح خيبر.

إن الروايات التاريخية أكدت أن الوفد الحبشي الذي جاء مع جعفر وأصحابه أعلن إسلامه في المدينة المنورة، ثم رجع إلى الحبشة بعد أن رأى الوفد بنفسه حقيقة ما يجري في دار الهجرة وشهد حياة المجتمع الإسلامي فترة من الوقت وتعلم شيئاً من القرآن الكريم، ومما لا شك فيه أنه سينقل الصورة الحقيقية والمشاهد المفعمة بالحب والحنان والترحيب المدهش الذي فاق تصوره، وخدمة الرسول ﷺ المباشرة للوفد. وغير ذلك مما استرعى انتباهه أثناء إقامته في المدينة المنورة. ويتوقع أنه إذا تمكن الوفد من الوصول إلى النجاشي وأخبره بما رأى وسمع سيزيد هذا الأمر سعادة النجاشي وفرحته.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، الجزء الثالث، ص ٧٨، ط. الخامسة عام ١٤٠٤ هـ.

وبعودة آخر من تبقى من المهاجرين ومغادرتهم الحبشة متوجهين إلى المدينة المنورة أسدل الستار على مرحلة متميزة اشتهرت بالأخبار المتواصلة والمعلومات المتدفقة بين الجزيرة العربية وبلاد الحبشة.

إن الفترة هذه كانت متزامنة مع الأحداث المثيرة والحروب الطاحنة بين المسلمين من ناحية وبين المشركين واليهود من ناحية أخرى. فوجود علاقات قوية خارج الجزيرة العربية تعني أهمية كبرى للمسلمين أو كانت من متطلبات المرحلة من الناحية المعنوية، ولكنها لم تقتصر بالدعم المعنوي. بل حققت انتصاراً عملياً ضد المشركين في الأراضي الحبشية وحطمت كبرياء وغطرسة المشركين، فكان ذلك نصراً تحقق للإسلام لم يتوقع المشركون حدوثه بالطريقة التي حدث في وقت كان الباقون في مكة يعانون من المشقات وكان فضل الله على المؤمنين عظيماً.

المرحلة الثانية: ما بعد عودة المهاجرين من الحبشة:

من الملحوظ أن كمية المعلومات الواردة من الحبشة إلى الجزيرة العربية قد قلت إلى حد كبير بعد عودة المهاجرين منها، ولكن الاتصالات لم تنقطع كما يتوهم في النظرة الأولى، بل نجد أخباراً متفرقة هنا وهناك في كتب السير والتاريخ، فبعد سنة واحدة من عودة الصحابة رضي الله عنهم كانت وفاة النجاشي، فأخبرنا النبي ﷺ بموته رحمه الله تعالى. وأمر أصحابه بالصلاة عليه بعد أن ذكر اسم النجاشي «أصمحة» وعلى كل حال علمنا موته في اليوم الذي مات فيه وإن كان المؤكد هو أن الوحي هو المصدر الوحيد لهذا الخبر، إذ يستحيل معرفة ذلك في تلك الأيام ـ إذاً هذا الخبر من معجزات النبي ﷺ ـ كما قال المحققون، وقد سبق الحديث عن موت النجاشي وما يتعلق بهذا الموضوع[1]. والذي يؤكد ذلك أننا لم نجد أخباراً مفصلة أو مجملة عن موته ودفنه وهل صلى عليه أحد من المسلمين في الحبشة أو غيرها من المعلومات المتعلقة بملك الحبشة بعد وفاته مباشرة.

---

(١) راجع إسلام النجاشي من هذا الكتاب.

أما بعد موت النجاشي رحمه الله تعالى من السنة التاسعة فلم نجد من الحبشة أخباراً وافية كما كانت في الفترة الأولى، ولكن كتب السير لا تخلو من أخبار الحبشة رغم قلتها، فقد ذكر ابن إسحاق رحمه الله تعالى ما يلقى بعض الأضواء على الأوضاع في الحبشة بعد موت النجاشي رحمه الله تعالى فقال: «قدم على أبي نيزر بن النجاشي ناس من الحبشة، فأقاموا عنده شهراً ينحر لهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويصنع لهم الطعام، فقالوا له: إن أمر الحبشة قد مرج عليهم، فانطلق معنا نملكك عليهم وإنك ابن من قد علمت، فقال: أما إذ أكرمني الله بالإسلام ما كنت لأفعل، فلما أيئسوا منه رجعوا وتركوه»[1].

إن هذا النص يفيدنا بعض المعلومات عن الأوضاع هناك بعد وفاة النجاشي ـ أصحمة ـ إنها تشير إلى أن وضع البلاد لم يعد كما كان، وأن موت النجاشي خلف وراءه مشكلات خطيرة حيث حدثت اضطرابات عامة ونزاعات على الملك، وأن مجيء هذا الوفد إلى أبي نيزر يشبه قصة والده وأن أهل الحبشة ما زالوا يأملون في ذرية النجاشي لعلهم يقعون على واحد يتصف بالعدالة والإنصاف، وجاء الوفد لمحاولة إقناع أبي نيزر بقبول الملك، وعلى أقل تقدير إن هذا الوفد ينقل وجهة نظر معينة لبعض الزعامات في الحبشة إن لم يكن ذلك رأياً لعموم مملكة أكسوم التي كان النجاشي ـ أصحمة ـ يحكمها، وسواء كان هذا رأياً عاماً أو رأياً خاصاً لدى طائفة بعينها فإن هذا الأمر يدل على أن ثقة الحبشة بعائلة النجاشي ما زالت باقية بعد وفاة الملك.

أما سبب رفضه للملك الذي أطل برأسه عليه فلعله تذكر موقف الحبشة من جده الذي أردوه قتيلاً، وموقفهم من أبيه الذي باعوه حتى أصبح عبداً مملوكاً في فترة من الفترات، كما أنه لا يخفى عليه كيف أن قساوسة الحبشة ورجالها ثاروا ضد النجاشي عندما أحسوا بإسلامه وعندما رفض أخذ الهدية من وفد المشركين، فكل هذه المواقف لا تشجعه على قبول الملك والاطمئنان إلى وعودهم.

---

(١) السير والمغازي لمحمد بن إسحاق، ص ٢٢٠، ط. الأولى، بيروت، دار الفكر.

والحبشة قديماً قلما اتفقت على رجل أو عائلة واحدة تتوارث على الحكم بسلاسة وانتظام، كما أنها لم تستطع تطوير نظام الحكم فيها، بل البلاد مشهورة بالحروب والمنازعات الداخلية بين كبراء القوم وهم ـ الرؤوس ـ وهذا أمر يخوف عاقلاً ويجعله متردداً قبل أن يلبي مثل هذا الطلب.

ومن رواية يونس عن ابن إسحاق أن أبا نيزر مولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان ابناً للنجاشي نفسه، وإن علياً وجده عند تاجر بمكة فاشتراه منه، وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين. وذكر أن الحبشة مرج عليها أمرها بعد النجاشي وأنهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبي نيزر وهو مع علي رضي الله تعالى عنه ليملكوه ويتوجوه، ولم يختلفوا عليه، فأبى، وقال: ما كنت لأطلب الملك بعد أن منّ الله عليّ بالإسلام، وكان أبو نيزر من أطول الناس قامة، وأحسنهم وجهاً قال: «ولم يكن لونه كألوان الحبشة، ولكنه إذا رأيته قلت هذا رجل من العرب»[1].

إن هذه الرواية أكدت لنا أن الوفد يمثل رأي أعيان الحبشة بدون استثناء وهي فقرة مهمة تزودنا بعض المعلومات عن الحبشة ومدى ثقتهم بعائلة النجاشي رغم كل شيء، كما أنه فصلت ظروف أبي نيزر وحالته وأنه بدوره أصبح عبداً في مرحلة معينة.

ولعل ما تشير إليه الروايات من حدوث اضطرابات وقلاقل وعدم اتفاق أهل الحبشة هي التي أخرجت أبا نيزر من الحبشة حتى وقع في العبودية، ولا تنسى أن أعداء والده لن يرضوا استمرار ملكه إذا تمكنوا.

ومما يزيدنا ثقة واقتناعاً كبيرين على وجود علاقات واتصالات بين الحبشة والدولة الإسلامية قول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وهي تتحدث عن وفاة النجاشي، قالت: «لما مات النجاشي كنا نتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور»[2].

---

(١) الروض الأنف للسهيلي، الجزء الثاني، ص ٩٤.

(٢) النبوة في السيرة النبوية، أبو البصر مبسر الطرازي الحسيني، ص ٩٥، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع.

إن شيوع هذا الخبر يدل دلالة واضحة على ورود الأخبار من الحبشة، وبقاء الصلة بينها وبين الدولة الإسلامية، لأن الألفاظ الواردة هنا تشير إلى أن عدداً من الناس رأوا ذلك وشاهدوه. ويحتمل أن الذين شاهدوا النور هم أشخاص ذهبوا من الجزيرة العربية إلى الحبشة بغرض التجارة، أو غير ذلك، ويمكن أن يكون العكس أي أنهم جاءوا رأساً من الحبشة ونقلوا إلينا أخباراً من بينها هذا الخبر الذي نحن بصدده. فسواء كان هؤلاء الذين رووا قصة قبر النجاشي من أهل الحبشة الذين قدموا الجزيرة أو من العرب الذين سافروا إلى الحبشة فالخبر يفيد التواصل واستمرار الاتصالات، كما أن الخبر بحد ذاته نوع من البشرى وإظهار كرامة من قبره ظهرت بعد موته، وهذا دليل الصلاح للنجاشي وإظهار الكرامة في تلك الفترة من قبر النجاشي يقوي أيمان المؤمنين لأهل الحبشة، وكانوا قلة في الساحة الحبشية يومها ويساعد أتباع النجاشي على التمسك بالإسلام والثبات على الطريق.

في المجال الحربي:

إن طابع الاتصالات بين الحبشة والدولة الإسلامية كان سلمياً في الأعم الأغلب لأن العلاقات الحميمة التي أوجدتها الهجرة تركت في نفوس المسلمين وخاصة جيل الصحابة والتابعين الحب والتقدير، بل استمر ذلك الانطباع فترة غير قصيرة، وانطلاقاً من هذا فإن المواجهات العسكرية بين الدولة الإسلامية والحبشة تكاد تكون معدومة، ولم تصبح الحبشة هدفاً للجيش الإسلامي في عصر الخلافة الراشدة على سبيل المثال، كما أن الدول التي تعاقبت على الحكم بعد الخلافة الراشدة لم تجيش الجيوش لفتح بلاد الحبشة عسكرياً ولعل السبب الأقوى في هذا ما صنعه النجاشي للمسلمين بالإضافة إلى عوامل أخرى سأذكرها في حينها إن شاء الله تعالى.

ومع أن هذا هو الاتجاه العام إلا أنه لا بد من ذكر بعض الحوادث التي أدت إلى بعث سرايا معينة ضد أهداف اشتبه بأنها انطلقت من الأراضي الحبشية.

أولاً: سرية إلى الحبشة في حياة الرسول ﷺ:

لقد ذكر ابن سعد بعث سرية بقيادة علقمة بن مجزر المدلجي إلى الحبشة في شهر ربيع الآخر سنة تسع من مهاجر رسول الله ﷺ، قالوا: «بلغ رسول الله ﷺ أن أناساً من الحبشة تراياهم أهل جدة، فبعث إليهم علقمة بن مجزز في ثلاثمائة فانتهى إلى جزيرة في البحر، وقد خاض إليهم البحر فهربوا منه»[1].

أما الواقدي فقال: «إن ناساً من الحبشة تراياهم أهل الشعيبة ساحل بناحية مكة في مراكب، فبلغ النبي ﷺ، فبعث علقمة بن مجزز المدلجي في ثلاثمائة رجل حتى انتهوا إلى جزيرة في البحر فخاض إليهم، فهربوا منه ثم انصرف»[2].

يبدو والله أعلم أن هؤلاء الذين أخافوا أهل جدة والشعيبة كانوا قراصنة البحر، ولم يكونوا جيشاً منظماً خطط لاستيلاء جدة أو غير جدة من الموانىء الإسلامية، لأن الأسلوب الذي واجههم المسلمون لا يدل على أنهم قوة مرهوبة الجانب تهدد الساحل الشرقي للبحر الأحمر، كما أن الحادث لم يحتل حيزاً كبيراً في كتب السير والمغازي كعادة الغزوات والحروب الكبيرة ولم ترد تفاصيل دقيقة عنها، بل مرت وكأنها حادثة عرضية لم تسترع انتباه المسلمين.

ولعل عدم تكرار العملية من قبل الأحباش أو عدم صمودهم أمام القوة البحرية الصغيرة وفرارهم بدون خوض معركة تذكر إشارة واضحة إلى أن الحدث ليس ذا أهمية كبيرة.

فعلى الغالب لا تمثل القوة المذكورة خطراً ويستبعد أن تكون تحت أمرة السلطة الحبشية. لأن العلاقات بين الجانبين كانت وقتئذ على أحسن حال

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، المجلد الثاني، ص ١٦٣.

(٢) كتاب المغازي للواقدي، الجزء الثالث، ص ٩٨٣، ط. غير موجودة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

وأقواها، فلا يتصور أنها تنهار بهذه السرعة المفاجأة بدون مقدمات، علماً بأن الحبشة لم تسمع من المسلمين إلا المودة ولم يحدث شيء يعكر صفو العلاقات، إذاً ما هو الداعي لأن تفكر الحبشة لغزو أراضي الدولة الإسلامية، ومن الجدير بالذكر أن أخبار الانتصارات الإسلامية عمت أنحاء الجزيرة، فتح مكة المكرمة قبل ذلك بسنة واستسلمت قريش وسقطت مدينة الطائف بأيدي المسلمين وكان فتحاً مبيناً، فبعد تلك التطورات الإيجابية يضعف احتمال غزو الحبشة تجاه السواحل الإسلامية، فأياً كانت الدوافع لهؤلاء فإن مثل هذا الحادث لم يتكرر في حياة الرسول ﷺ بل هي السرية الوحيدة التي أوردتها كتب السيرة والمغازي في هذا الشأن.

ثانياً: غزوة إلى بلاد الحبشة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

لقد أورد الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى ضمن أحداث سنة عشرين من التاريخ الهجري، فقال: «وفيها بعث عمر علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة في البحر، فأصيبوا فآلى عمر على نفسه أن لا يبعث جيشاً في البحر بعدها»[1].

أما الطبري فإنه ذكر الخبر مع مزيد من التفاصيل، فقال: «وفي السنة العشرين من التاريخ الهجري بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه علقمة بن مجزر المدلجي إلى الحبشة في البحر، وذلك أن الحبشة كانت تطرفت فيما ذكر طرفاً من أطراف الإسلام، فأصيبوا فجعل عمر على نفسه ألا يحمل في البحر أحداً أبداً»[2].

وأما ابن الأثير فقد روى لنا الخبر بدوره ضمن أحداث سنة عشرين فقال: «وفيها بعث عمر علقمة بن مجزز المدلجي إلى الحبشة، وكانت تطرفت بلاد الإسلام فأصيب المسلمون فجعل عمر على نفسه أن لا يحمل في البحر

---

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير، الجزء السابع، ط. الخامسة عام ١٤٠٥ هـ، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.

(٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري، المجلد الثاني، ص ٥١٧، ط. الأولى عام ١٤٠٧ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أحداً أبداً يعني للغزو، وقيل سنة إحدى وثلاثين»[1] وعند ترجمة علقمة بن مجزز نجد أيضاً معلومات عن الغزوة تلك: وجاءت ترجمته هكذا:

علقمة بن مجزز بن الأعور بن جعدة بن معاذ المدلجي الكناني أحد عمال النبي ﷺ على جيش، وبعث عمر بن الخطاب علقمة في جيش إلى الحبشة فهلكوا كلهم فرثاه حواس العذري بقوله:

إن السلام وحسن كل تحية تغدو على ابن مجزز وتروح[2]

ولقد أضاف اليعقوبي إضافة قيمة في الغزوة قائلاً: «وجه عمر سنة عشرين علقمة بن مجزز المدلجي في عشرين مركباً أو نحوها فأصيبوا جميعاً، فحلف عمر لا يحمل في البحر أحداً أبداً»[3].

ويبدو أن هذه الغزوة هي الوحيدة من نوعها في عصر الخلافة الراشدة لأننا لم نجد غزوات أخرى باسم الحبشة في كتب السير والمغازي أما قائدها فهو القائد نفسه الذي طرد الأحباش من الساحل الشرقي للبحر الأحمر سنة تسع للهجرة كما مر آنفاً. أما وقوعها فذكرت معظم كتب التاريخ سنة عشرين.

أما الرواية الأخرى الوحيدة التي خالفت هذا التاريخ فتقول إنها وقعت سنة إحدى وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

أما سببها: فإننا ندرك من الجو العام في الفترة التي نحن بصددها أن المسلمين لم يوجهوا جيشاً لفتح أراضي الحبشة وما يجاورها، لأن مثل ذلك القرار ليس من شأنه أن يكون مجهولاً لدى المؤرخين وأصحاب السير والمغازي. كيف يخفى ذلك وقد سجلوا السرايا الصغيرة بله الغزوات.

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير، المجلد الثاني، ص٣٩٨، ط. الخامسة عام ١٤٠٥ هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير، الجزء الرابع، ص ١٤.
راجع الإصابة في ترجمة علقمة بن مجزر المدلجي.

(٣) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، الجزء الثاني، ص ١٣٣، ط. عام ١٣٥٨ هـ.

والفتوحات التي عمت أرجاء واسعة في أفريقيا وآسيا وأوربا.

فمن هذا يمكن أن نتوصل إلى نتيجة منطقية مفادها، أن غزوة الحبشة كانت دفاعاً عن الثغور والسواحل سواء في منطقة الحجاز أو في اليمين أو المناطق الأخرى التي من شأنها أن تتعرض لعدوان القراصنة القادمين من جهة الحبشة.

وهذا المعنى هو الذي نفهمه من بعض الألفاظ الواردة في سياق القصة في كل من الطبري وابن الأثير حيث وردت هذه العبارة فيهما: «إن الحبشة تطرفت طرفاً من أطراف الإسلام» ومعنى هذا أن الحبشة وصلوا حدود الدولة الإسلامية بطريقة غير مشروعة ولعلهم اعتدوا على السفن التجارية، أو أخافوا المسلمين في السواحل، فعندما جرد عمر حملة بحرية لطرد هؤلاء وتأمين حدود الدولة وكانت قوة تكفي لأداء مثل تلك المهمة إذ بلغت السفن عشرون مركباً بقيادة قائد ماهر هو علقمة بن مجزز المدلجي، ولكن هذا الجيش لم يعد بل هلك في البحر، حسب جميع الروايات، ولكنها لم تذكر، هل الجيش هلك قبل خوض معركة وأداء المهمة أو هلك بعد أن أدى المهمة؟ ورغم أنه ليس عندي تفاصيل عن هذا إلا أنه من الواضح أن التهديد لم يعد قائماً بعد تلك الغزوة. بل أصبحت السواحل والأطراف الإسلامية الأخرى آمنة لم تشكوا من أي اعتداء، وهذا كله يؤكد مرة أخرى أن تلك الأحداث في مجملها لم تغير شيئاً من واقع العلاقة بين الحبشة والدولة الإسلامية، لأنها لم تكن أحداثاً جوهرية.